البلاء المبين في الذبيح في القرآن الكريم والتوراة

The calamity shown in the sacrifice in the Noble Qur'an and the Torah

بحث مقدم من الباحثة: أ. م. د. سماح محمد حيدة

أستاذ مشارك بجامعة باشن العالمية بأمريكا ورئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية

- 00201092664990 samahhida@gmail.com

الملخَّص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم والتوراة، مبيِّنًا أوجه الاتفاق والاختلاف بين الروايتين من حيث المضمون والدلالات والعبر المستفادة. يبرز البحث المنهج القرآني في عرض القصة بأسلوب موجز يركِّز على العبرة والعظة، في مقابل السرد التوراتي الذي يجنح إلى التفصيل التاريخي. كما يناقش الخلاف بين المفسِّرين حول هوية الذبيح، هل هو إسماعيل أم إسحاق عليهما السلام، من خلال عرض أقوال العلماء وتحليل أدلتهم النقلية والعقلية، واستعراض مواقفهم من الروايات الإسرائيلية.

يخلص البحث إلى أنَّ مقصود القصة في القرآن ليس تحديد اسم الذبيح بقدر ما هو إبراز الابتلاء العظيم الذي كشف عن صدق إيمان إبراهيم وابنه واستسلامهما التام لأمر الله تعالى. وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبُّع النصوص القرآنية والتوراتية وتفسيرها ومقارنتها، وصولًا إلى نتائج تُظهر سموَّ المنهج القرآني في توجيه الإنسانية إلى جوهر الإيمان والتسليم المطلق لله عز وجل.

الكلمات المفتاحية: الذبيح؛ إبراهيم عليه السلام؛ القرآن الكريم؛ التوراة؛ البلاء المبين؛ إسماعيل؛ إسحاق.

Abstract:

This research analyzes the story of *the Sacrificed Son* as narrated in the Holy Qur'an and the Torah, highlighting the points of agreement and divergence between the two accounts in terms of content, meaning, and moral lessons. The study emphasizes the Qur'anic narrative style, which focuses on spiritual reflection and moral instruction, in contrast to the Torah's historical and detailed storytelling. It also discusses the scholarly debate over the identity of the sacrificed son- whether he was Ishmael or Isaac (peace be upon them)- by presenting and analyzing the evidences and interpretations of classical scholars, as well as their positions on Israelite traditions.

The research concludes that the main purpose of the Qur'anic account is not to specify the name of the son, but rather to highlight the great trial that revealed the sincerity of Abraham's faith and his son's complete submission to God's command. The study adopts an inductive analytical methodology, examining Qur'anic and Torah texts comparatively to demonstrate the superiority of the Qur'anic approach in guiding humanity toward the essence of faith and total devotion to the Almighty.

Keywords: The Sacrificed Son; Prophet Abraham; Holy Qur'an; Torah; The Great Trial; Ishmael; Isaac.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيَّد من ربه بالمعجزات الباهرات التي أجلُّها القرآن الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد، فإنَّ أسلوب القصص في القرآن يركز على العبرة أساسًا؛ لذلك تتحول فيه الحادثة التاريخية المحدودة بالزمان والمكان والأشخاص إلى قضية إنسانية عامة تصلح للعظة والاعتبار في كل زمان ومكان، أما أسلوب القصص في التوراة فيعتمد على المنهج التاريخي فيذكر الزمان والمكان والأسماء وشتى التفصيلات. كما إنَّ السرد القرآني في القصص يتحاشى الإطالة ويقوم على أساس المشاهد والأحداث المتتالية المترابطة، إنَّه سرد أشبه بالدراما السينمائية، أما سرد التوراة فهو سرد قصصي روائي يدخل في تفصيلات جانبية وتداخلات فرعية، وذلك يتمشى مع تأريخ التوراة للأنبياء وأبنائهم.

ومثال ذلك أنَّه لم يذكر القرآن اسم يعقوب (عليه السلام) في سورة يوسف إلا ثلاث مرات فقط. واحدة في حديث يعقوب لابنه يوسف: ...↓ ❐◆③☜↖☺⇙➔♌☼ ❺⚐♌☞↖③◆❐ ⓵🡐❍♦☞⛝☺⇙➔♌☼ (القرآن الكريم، يوسف: 6)، والثانية في حديث يوسف لصاحبيه في السجن: ↓ ✓❽♌↗🖉♦🖃✂◆↗ ♦✂♌✎ →💣⇙➔♦🖮❐✂◆❐ ...↑ ⌘☮❑→◑⇙➔♦③◆❐ ♦🖃🕓⛝♦⇔☋♑◑◆❐ ⌘⚐⑩♌♎🕓♦❷⇗🖃♑◑ (القرآن الكريم، يوسف: 38)، والأخيرة في حديث الله تعالى عن يعقوب: ↓ ✍❶☺♦☜◆❐ ☎✂❑➔🖬⛝⌘⛝⑩ ✍☐✎ ☠➔♎❑🡐❒🕮 ⇗☠➔♎♦❷♦✎❒🕮 ←❁⇘❶⛝❍ ⇳Ⅱ♌✎ ♍🕭•🖹 ☮↗⇔Ø☒★ Ⅱ♌✎ ★🖉✍✂ ⌘Ⅱ♌♯✎ ⚐←♑⇙☪♦↖ ØØ♉⇘⇔↖③ ♑⇙➔♦③ ☜▪⇘▦♦☼ ❼♑× ☪❑⛝♉🕭♦■ ...↑ ✍⛝♑☜•Ø♦🕭 ⌘☮❑→◑⇙➔♦③ (القرآن الكريم، يوسف: 68). وفيما عدا سورة يوسف ذكر القرآن الكريم اسم يعقوب ثلاث عشرة مرة. وإنَّما كان القرآن لا يريد التركيز على اسم يعقوب هنا بذكره بالاسم في سورة يوسف، وهي أكبر موضع في القرآن تحدث عن يعقوب وأسرته، ولكن

التركيز في سورة يوسف كان على يوسف (عليه السلام) بالأحداث وبالاسم، لذلك تردد اسم يوسف في سورة يوسف خمس وعشرين مرة. ولم يذكر القرآن الكريم اسم يوسف خارج سورة يوسف إلا مرتين فقط (الأنعام: 84، وغافر: 34). وفي ذلك برهان ساطع على المنهج القرآني الموجِز واختلافه عن منهج التوراة الروائي الذي ازدحمت فيه أسماء الرجال والنساء والأولاد ما بين فلسطين ومصر.

ومثال ما جاء على الاختلاف والخلاف بين القرآن والتوراة ذكر اسم الذبيح فيهما، حيث لم يُذكر اسمه في القرآن وجاء في التوراة أنَّه إسحاق (عليه السلام). فقد ابتلي إبراهيم (عليه السلام) حين اصطفاه الله (تعالى) وجعله للناس إمامًا، فكان نعم العبد مكتمل الإيمان والإسلام والتوحيد الكامل والدين الخالص، كما نصَّ القرآن الكريم، ثم إنَّه (تعالى) اجتبى أمته وجعلهم شهداء على الناس، فكان ذلك ليتم نعمته على الناس كافة، ويجعل إبراهيم (عليه السلام) ونسله بركة لجميع الأمم، كما صرَّح به التوراة، في قصة الذبيح: "إني من أجل أنَّك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك وأكثر نسلك – إلى قوله – ويبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنَّك سمعت قولي" (التوراة، سفر التكوين 22: 16–18)، ثم ابتلاه ثانية مختبرًا صدق حبه لمولاه دون شريك، وإذا به يسارع في تنفيذ رؤياه الحق ويهمُّ بذبح ابنه، فينزل الله كبشًا عظيمًا له فداءً، وينجي الابن المؤمن ويجازيه ووالده خير الجزاء.

وقد أردنا هنا كشف النقاب عن هذا الابتلاء الذي حكت عنه التوراة، والذي وصفه الله (تعالى) في القرآن الكريم بالبلاء المبين، حين قال (تعالى): ◆❑🡐●❍🖴 ✂☒🅾🕓🖂♎ ·♍♌♋ ↓ ✂🖋☎✂→♦❋🕓■🖬♦🖮🖻🖻🖍✂ ↑ ←×✓♌🖮←☺🖻🖻🖍✂ (القرآن الكريم، الصافات: 106)، وفيه يقول الزمخشري (رحمه الله): "(البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميَّز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها. الذِّبح: اسم ما يُذبح. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): هو الكبش الذي قرَّبه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل" (الزمخشري، د.ت، ص. 120).

وقد كان من العلماء والمفسرين أن اجتهدوا في بيان قصة الذبيح واستخلاص العبرة والعظة، وقد اختلفوا في تعيينه، لما غاب ذكر اسمه في القرآن الكريم، فكان اختلافهم بين مَنْ صدَّق ما ذُكر في التوراة ومَنْ وافق رأيه ما جاء في التوراة كابن جرير الطبري (رحمه الله)، حيث قال: "وقد رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كلا القولين، لو كان فيهما صحيح لم نعْدُه إلى غيره، غير أنَّ الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه (صلى الله عليه وسلم) أنَّه قال: هو إسحاق، أوضح وأبين منه على صحة الأخرى" (الطبري، 1979م، ج. 1، ص. 263). فأجابه ابن كثير (رحمه الله) مرجأً الأمر إلى أخذ هذا الفريق عن أهل الكتاب، وما هو من الكتاب ولا السنة، فقال: "وقد ذهب جماعة من أهل

العلم إلى أنَّ الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة (رضي الله عنهم) أيضًا. وليس في ذلك كتاب ولا سنَّة. وما أظن ذلك تُلُقِّيَ إلا من أحبار أهل الكتاب، وأُخذ ذلك مسلمًّا من غير حجة" (ابن كثير، 1407هـ، ج. 4، ص. 16)، ومنهم مَنْ قال إنه إسماعيل (عليه السلام)، كالنسفي في المدارك: "والأظهر أنَّ الذبيح إسماعيل" (النسفي، د. ت، ج. 4، ص. 26)، والبيضاوي في أنوار التنزيل: "والأظهر أنَّ المخاطب به إسماعيل" (البيضاوي، 1408هـ، ج. 2، ص. 299)، ومنهم من سكت عن الترجيح، كالسيوطي في الجلالين: "وهو إسماعيل أو إسحاق قولان"، (السيوطي، 1404هـ، ص. 594)، وفي الحاوي يقول: "إنَّه كان يعتقد أولاً أنَّ إسحاق (عليه السلام) هو الذبيح، وأمَّا الآن فصار متوقفًا" (السيوطي، 1378هـ، ج. 1، ص. 498)، وأمَّا البغوي والخازن فاكتفيا بذكر القولين مع الروايات (البغوي، 1412هـ، ج. 7، ص. 46-47؛ الخازن، 1415هـ، ج. 4، ص. 21-22). وهم جميعًا مستندين في آرائهم إلى أدلة عقلية وأخرى نقلية تقوِّي رأي كل فريق.

وقد قُسِّم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: قصة الذبيح في القرآن الكريم وآراء العلماء والمفسرين، وقد تناول هذا المبحث بيان البشارة بإسماعيل (عليه السلام)، والبشارة بإسحاق (عليه السلام)، ثم تفسير قصة الذبيح كما وردت في القرآن الكريم وبيان آراء العلماء والمفسرين في تعيين الذبيح، ودلائل كل فريق. أما المبحث الثاني: قصة الذبيح في التوراة وآراء العلماء والمفسرين، فقد تناول بيان مولد إسماعيل (عليه السلام)، ومولد إسحاق (عليه السلام)، ثم بيان قصة الذبيح كما وردت في التوراة ورد علماء الإسلام على ما جاء في التوراة. والمبحث الثالث: المقارنة بين قصة الذبيح في القرآن الكريم والتوراة، وقد تضمن أوجه الاختلاف في قصة الذبيح بين القرآن الكريم والتوراة، وأسباب الاختلاف وما يستفاد من قصة الذبيح. ثم أعقب ذلك خاتمة تناولت بيان ما توصل إليه البحث من نتائج، وكان من أهمها: انقسام المسلمين بين فريقين لدى كلٍّ منهما أدلته الدامغة على شخص الذبيح، وأنَّ ذكر اسم الذبيح في التوراة جعل منه سبيلًا للتشكك في صدق ما ورد فيه لا لاستكمال ما غمض في القرآن، وأنَّ الاختلاف بين العلماء فاق الحد إلى الخلاف، فكثرت التآليف والآراء وتنوعت بين المؤيد والمعارض وزاد الأمر تعقيدًا ورود كمٍّ من الأحاديث النبوية الشريفة بعضها صحيح وأغلبها ضعيف وموضوع، وفي حين انشغل المسلمون بالانحياز إلى أحد الفريقين المختلفين في اسم الذبيح، فقد انشغلوا عن استشعار الحكمة الإلهية من هذا البلاء المبين، وهو ما أراده (تعالى) منهم وأكده في كتابه العزيز.

كان اختيار المنهج الاستقرائي التحليلي سبيلًا لتحقيق أهداف هذا البحث، وذلك عن طريق استقراء المعطيات من الآيات القرآنية ومن التوراة، وبيان ما ذهب إليه كل فريق من العلماء، وتحليل أدلته وتصنيفها ونقدها حتى تشكلت

لدينا صورة مكتملة عن كل الآراء، وأصبح من اليسير تبني الصحيح منها والاختلاف مع الواهي وبيان أسباب ضعفه، بل وتشكيل الرأي الخاص وتدعيمه بالأدلة والبراهين.

المبحث الأول:

قصة الذبيح في القرآن الكريم وآراء العلماء والمفسرين:

إنَّ قصة الذبيح وردت كاملة في سورة الصافات ضمن قصة إيمان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وهجرته، ومع أنَّ النص القرآني لم يصرح باسم الذبيح؛ فإنَّ سياق الآيات القرآنية ومجمل ذكر كلٍّ من إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام) فيها جعل العلماء والمفسرين بين فريقين يستند كل منهما إلى أدلته في الفصل بمن الذبيح في القرآن الكريم.

1- البشارة بإسماعيل (عليه السلام):

قال تعالى:
(القرآن الكريم، الصافات: 91-101).

الآيات السابقة تسرد لنا قصة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) مع الأصنام، حين أراد أن يوضح لقومه أنَّ هذه الأصنام ما هي إلا جماد لا تأكل ولا تشرب ولا تنطق؛ فكيف يليق أن تُعبد؟! فأقبل على آلهتهم يضربها ويكسِّرها بيده اليمنى، فأقبلوا إليه يَعْدُون مسرعين غاضبين، فلقيهم إبراهيم (عليه السلام) بثبات قائلاً: كيف تعبدون أصنامًا تنحتونها أنتم، وتصنعونها بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم، وخلق ما تعملون من أصنام؟! فلما قامت عليهم الحجة لجؤوا إلى القوة، وقالوا: ابنوا له بنيانًا واملؤوه حطبًا، ثم ألقوه فيه، فردَّ الله كيدهم في نحورهم، وجعل النار على إبراهيم بردًا وسلامًا. وقال إبراهيم: إنِّي مهاجرٌ إلى ربي من بلد قومي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي وقاصدًا بذلك أرض الشام

المباركة. ثم دعا ربه وقال: رب أعطني ولدًا صالحًا. ثم بشره الله بغلام حليم وهو إسماعيل (عليه السلام)؛ لأنَّه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل. وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنَّه أول ولده وبكره (ابن كثير، 2003م، ج. 1، ص. 192؛ الألوسي، 1985م، ج. 23، ص. 123-131؛ أبو السعود، 1994م، ج. 7، ص. 198-201)، ويقول الزمخشري: "وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أنَّ الولد غلام ذكر، وأنَّه يبلغ أوان الحلم، وأنَّه يكون حليمًا. وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح؛ فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين، ثم استسلم لذلك" (الزمخشري، د. ت، ج. 3، ص. 347).

2- البشارة بإسحاق (عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (القرآن الكريم، سورة هود: 69- 73).

أي: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا) من الملائكة الكرام، رسولنا (إِبْرَاهِيمَ) الخليل (بِالْبُشْرَى) أي: بالبشارة بالولد، حين أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم، فيبشروه بإسحاق، فلما دخلوا عليه (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) أي: سلموا عليه، ورد عليهم السلام.

(فَمَا لَبِثَ) إبراهيم لما دخلوا عليه (أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) أي: بادر لبيته، فاستحضر لأضيافه عجلاً مشويًّا على الرضف سمينًا، فقربه إليهم فقال: ألا تأكلون؟ (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ) أي: إلى تلك الضيافة (نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ

مِنْهُمْ خِيفَةً) وظن أنهم أتوه بشر ومكروه، وذلك قبل أن يعرف أمرهم. فـ(قَالُوا لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ)، أي: إنا رسل الله, أرسلنا الله إلى إهلاك قوم لوط.

وامرأة إبراهيم (قَائِمَةٌ) تخدم أضيافه (فَضَحِكَتْ) حين سمعت بحالهم، وما أرسلوا به، تعجبًا. (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) فتعجبت من ذلك. و(قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا) فهذان مانعان من وجود الولد (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) فإن أمره لا عجب فيه، لنفوذ مشيئته التامة في كل شيء، فلا يستغرب على قدرته شيء، وخصوصًا فيما يدبره ويمضيه، لأهل هذا البيت المبارك (ابن كثير، 2003م، ج. 1، ص. 195-197).

ونلاحظ فيما سبق أنَّ هناك اختلاف في البشارات بين سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق. فالبشارة بسيدنا أسماعيل جاءت بعد نجاة سيدنا إبراهيم من النار عندما كسر الأصنام، فذهب إلى الشام وطلب من الله ولد من الصالحين وبشره الله بسيدنا إسماعيل. وأنَّ البشارة بسيدنا إسحاق جاءت في موقف آخر وهو حين أرسل الله الملائكة لهلاك قوم سيدنا لوط وأمرهم بأن يمروا على سيدنا إبراهيم ويبشروه بإسحاق (عليهم السلام).

3- قصة الذبيح في القرآن الكريم:

صرَّح القرآن الكريم بقصة الذبيح مرة واحدة في سورة الصافات، حيث قال (تعالى):

(القرآن الكريم، الصافات: 101-111).

لمَّا كَبِر إسماعيل ومشى مع أبيه قال له أبوه: إني أرى في المنام أني أذبحك، فما رأيك؟ هذا وفي الحديث عن ابن عباس مرفوعًا: "ورؤيا الأنبياء وحي" (ابن القيم، د. ت، ج. 1، ص. 62)، فقال إسماعيل مُرْضيًا ربه، بارًّا بوالده، معينًا له على طاعة الله: أمض ما أمرك الله به مِن ذبحي، ستجدني – إن شاء الله– صابرًا طائعًا محتسبًا. فلما استسلما لأمر الله، وانقادا له، وألقى إبراهيم ابنه على جبينه – وهو جانب الجبهة – على الأرض؛ ليذبحه؛ فناداه الله أن يا إبراهيم قد فعلتَ ما أُمرت به وصَدَّقْتَ رؤياك، إنا كما جزيناك على تصديقك نجزي الذين أحسنوا مثلك، فنخلِّصهم من الشدائد في الدنيا والآخرة. إنَّ الأمر بذبح ابنك هو الابتلاء الشاقُّ الذي أبان عن صدق إيمانك. واستنقذنا إسماعيل، فجعلنا بديلاً عنه كبشًا عظيمًا، وأبقينا لإبراهيم ثناءً حسنًا في الأمم بعده، ثم حياه الله وألقى عليه السلام. وكما جزينا إبراهيم على طاعته لنا وامتثاله أمرنا نجزي المحسنين من عبادنا. إنه من عبادنا المؤمنين الذين أعطَوا العبودية حقها، ثم جاءت بعد ذلك البشارة بسيدنا إسحاق عليه السلام. وبشَّرنا إبراهيم بولده إسحاق نبيًّا من الصالحين؛ جزاء له على صبره ورضاه بأمر ربه، وطاعته له (ابن كثير، 2003م، ج. 1، ص. 192-195؛ الزمخشري، د. ت، ج. 3، ص. 347-349؛ أبو السعود، 1994م، ج. 7، ص. 199-201).

4- دلائل العلماء والمفسرين على أنَّ الذبيح في القرآن الكريم إسماعيل (عليه السلام):

أمَّا أصحاب هذا الرأي الذين قالوا بأنَّ الذبيح إسماعيل هم عدد كبير من الصحابة والتابعين، منهم: أبو بكر ومعاوية بن أبي سفيان وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وابن عباس في اصح الروايتين عنه والشعبي ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز (رضي الله عنهم) (ابن كثير، 1407هـ، ج. 4، ص. 19؛ البغوي، 1412هـ، ج. 7، ص. 46-47؛ السيوطي، 1414هـ، ج. 5، ص. 530-532؛ القرطبي، د. ت، ج. 8، ص. 5544)، وقد رجح هذا القول أجلَّاء العلماء، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والحافظ ابن كثير والشيخ الشنقيطي وغيرهم من علماء الأمة، واستدلوا بأدلة من أهمها (الفراهيدي، 1999م، ص. 77-85):

1- بما أنَّ قصة الذبيح جاءت في القرآن الكريم ضمن ذكر لقصة سيدنا إبراهيم فلم يذكر اسم الذبيح حتى لا تنقطع القصة الأساسية والحكمة المرادة منها، وأيضًا فإنَّ في دعم ذكر اسم الذبيح حكمة إلهيه بالغة وهي أنَّ القرآن الكريم كان يطالب دائمًا أهل الكتاب بالرجوع إلى كتبهم للتأكد من أنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) مذكور عندهم

وأنَّه جاء ليتم الشرائع. ومن المعروف أنَّ التوراة ذكرت أنَّ الذبيح صراحة هو إسحاق، فلو أنَّ القرآن قال إنَّ الذبيح هو إسماعيل لنفر أهل الكتاب، وبخاصة اليهود، وتمسَّكوا بما عندهم وجادلوا بالباطل والعناد، فكان هذا بمثابة حجة عليهم. كما إنَّ الإسلام جعل الفخر بالآباء من أمور الجاهلية، فعلى هذا كان أقرب إلى التكرُّم ألا يذكر على لسان النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه القصة التي جاء فيها ذكر إسحاق (عليه السلام) بعد الفراغ من واقعة الذبح ما يكون تصريحًا بأنَّ إسماعيل (عليه السلام) الذي كان من آبائه هو صاحب هذا الشرف العظيم (الفراهيدي، 1999م، ص. 90-91).

2- أنَّ سياق الآيات يشير إلى أنَّ الذبيح إسماعيل، فقد استدل على ذلك الإمام محمد بن كعب القرطبي من خلال قوله (تعالى): ↓...▫⌛♦▫⊙❷⬀☼♦⌚♑◻︎✍︎ ✉︎... ♦❒ ◆ ✌︎◆♋♊︎ ❒◆❻◆✁✐➚♋ ◑♐︎... ♦ ③ ♦➔◑➔❑⚇⌘ ↑ (القرآن الكريم، هود: 71). قال: فكيف تقع البشارة بإسحاق وأنَّه سيولد له يعقوب ثم يُؤمر بذبح إسحاق وهو صغير قبل أن يولد له. هذا لا يكون لأنَّه يناقض البشارة المتقدمة (ابن كثير، 2003م، ج. 1، ص. 193).

3- أنَّ قول الله (عز وجل): ↓ ◑♐︎♍︎· ♎︎◻︎⌚⓿☒✁ ▭○●⇦❑◆ ✁✍︎... ☎ ✁... ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 106)، فهل البلاء المبين يأتي عندما يذبح سيدنا إبراهيم ابنه الأول الأكبر الذي طلبه من الله (سبحانه وتعالى) بعد ما هاجر من أرض قومه إلى الشام؟ أو أنَّ البلاء المبين يأتي عندما يذبح ابنه الثاني والأصغر؟ المنطق يقول بأنَّ البلاء المبين عندما يذبح ابنه الأول الذي بلغ معه السعي أي ترعرع وتقدم بالعمر (إسماعيل)، فهذا هو البلاء المبين أن يذبح ابنه بعد ما كبر أمام عينه.

4- أنَّ البشارة بسيدنا إسحاق جاءت نتيجة طاعة سيدنا إبراهيم وإسماعيل لأوامر الله وبتصديق رؤيته. فإنَّ الله جازى سيدنا إبراهيم مرتين، المرة الأولى: ↓ ♎︎⑨⇧ ⌚❁⑨●♎︎... ✁✍︎... ❷❾➚⬀③♦✍︎ ✐ 🗐 ↑ ... (القرآن الكريم، الصافات: 105)، فجزاه الله بأن يفدي إسماعيل (عليه السلام) بكبش عظيم، والمرة الثانية: ↓ ... ↑ (القرآن الكريم، الصافات:110-112). هذا هو الجزاء الثاني وهو البشارة

بسيدنا إسحاق، وهذا الجزاء نتيجة طاعة سيدنا إبراهيم وإسماعيل لأوامر الله فكان سيدنا إبراهيم يطلب من الله بولد من الصالحين فبشره الله باثنان وهم إسحاق من بعد إسماعيل، أي إنَّ البشارة بسيدنا إسحاق ترتبت على سيدنا إسماعيل وطاعته. كما دل ذلك على أنَّ البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية لأنَّه لا يجوز حمل كتاب الله على أنَّ معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضًا: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزَّه عنه كلام الله، وهو واضح في أنَّ الغلام المبشَّر به أولاً الذي فُدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأنَّ البشارة بإسحاق نصَّ الله عليها مستقلة بعد ذلك.

5- باستقراء النظائر في البشارتين، نجد أنَّ إحداهما بشارة بغلام حليم موصولة بالدعاء، والأخرى بشارة بإسحاق (عليه السلام) غير موصولة بالدعاء. وقد جاء ذكر البشارة بإسحاق في مواضع من القرآن، وليس في أحد منها أنَّها كانت من انتظار أو دعاء، وهكذا في التوراة، فإنَّها تذكر بشارة إسحاق (عليه السلام) حين لم يكن إبراهيم (عليه السلام) ليستشرف إليها ولا يرجوها بل تعجب منها لمَّا سمعها، وقال: "ألا بن مئة يولد أو سارة ابنة تسعين سنة تلد" (سفر التكوين 17: 17). وقد وعد الله (تعالى) إبراهيم (عليه السلام) أن يرزقه ولدًا، فلو كان إسحاق (عليه السلام) هو الموعود لم يتعجب إبراهيم (عليه السلام) من بشارته، فهذه البشارة الموصولة بالدعاء إجابةً لا تكون فيه، بل في إسماعيل (عليهما السلام) (الفراهيدي، 1999، ص. 83).

6- ذكر القرآن الكريم أنَّ الذبيح قال: ↓ ...☜♋◆☞⍓❾←❄❼☑ ♌✂◆↗ [الصافات/102]، ونجد في آية أخرى أنَّ سيدنا إسماعيل (عليه السلام) من الصابرين، يقول (تعالى): ↓ ❒◆❶•✂ ☎ ✂❒❶◆ ↑ ♦×⇦❸❍❍❍❍❍❍✂ (القرآن الكريم، الأنبياء: 85)، أي تحقق دعاء سيدنا إسماعيل وكان بالفعل من الصابرين كما ذكرت الآية الكريمة أنَّ سيدنا إسماعيل من الصابرين.

7- قال ابن القيم (رحمه الله) بأنَّه لا ريب أنَّ الذبيح كان بمكة؛ ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الحجار تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه وإقامة لذكر الله، ومعلوم أنَّ إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة، وينقل القرطبي في تفسيره عن الأصمعي قوله: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنَّما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة"

(القرطبي، د. ت. ج. 8، ص. 5544). كما يروي ابن كثير في البداية والنهاية عن عثمان بن طلحة (رضي الله عنه) قوله: "إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت، فنسيت أن آمرك أن تخمرهما، فخمرهما، فإنَّه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي". قال سفيان: "لم تزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا"، ورُوي عن ابن عباس أن رأس الكبش لم تزل معلَّقًا عند ميزاب الكعبة حتى يبس، وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل، لأنه كان المقيم بمكة أما إسحاق فلا يُعلم أنه قَدِمها في صغيرة (ابن كثير، 2003، ج. 1، ص. 193).

وإسماعيل (عليه السلام) هو الذي آخى أباه في مكة خروجًا من الكعبة إلى المرجم وعودةً إلى الكعبة مرة أخرى. وعامة الآثار النقلية والعقلية والتفسير أثبتت أنَّ إسماعيل (عليه السلام) تُوفي في مكة وإسحاق تُوفي في العراق ولا يُعرف قبره إلى اليوم، وليس صحيحًا أنَّه مدفون في الحجر الذي يقع شمال الكعبة؛ لم يثبت في هذا نصٌ صحيح، وقبره في مكة لا يُعرف كما أنَّ قبر ابن عباس في الطائف لا يعرف. والمعلوم أنَّ إسحاق (عليه السلام) لم يأتِ إلى مكة لا بسند ضعيف ولا بسند قوي إنَّما مكث في العراق ثم ارتحل إلى فلسطين ثم ارتحل إلى مصر ثم رجع إلى فلسطين ثم استقر في العراق ودفن هناك ولا يُعلم قبره كما أنَّه لا يُعلم قبر يونس في نينواء العراق ومثله قبر علي بن ابي طالب والحسن والحسين لا تعرف قبورهم.

8- يرى ابن تيمية (رحمه الله) أنَّه لم تُذكر قصة الذبيح في القرآن إلا في هذا الموضع، وفي سائر المواضع تُذكر البشارة بإسحاق خاصة، كما في قوله تعالى: ↓ 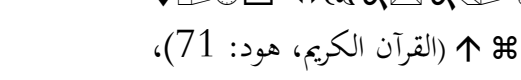 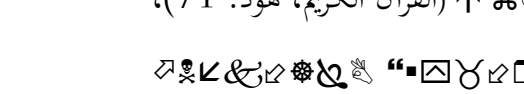 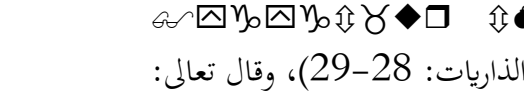 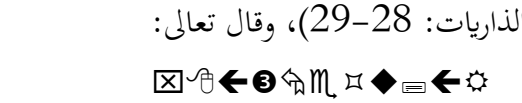 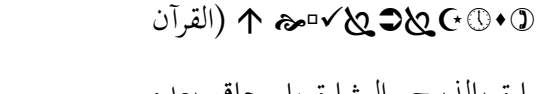 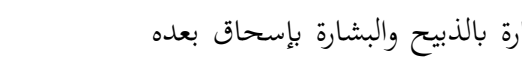 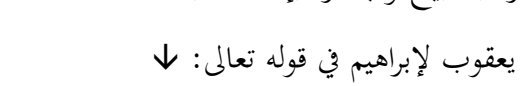   (القرآن الكريم، هود: 71)، فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفًا للوعد في يعقوب، وقال تعالى: ↓   (القرآن الكريم، الذاريات: 28-29)، وقال تعالى: (القرآن الكريم، الحجر: 53-55)، ولم يذكر أنَّه الذبيح. ثم لمَّا ذكر البشارتين جميعا؛ البشارة بالذبيح والبشارة بإسحاق بعده كان هذا من الأدلة على أنَّ إسحاق ليس هو الذبيح. ويؤيد ذلك أنَّه ذكر هِبَته وهبة يعقوب لإبراهيم في قوله تعالى: ↓

فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمّه إلى مكة، وهناك أمر بالذبح، وهذا مما يؤيد أنَّ هذا الذبيح دون ذلك (ابن تيمية، 1388هـ، ج. 4، ص. 331).

11- يذكر الإمام الشنقيطي (رحمه الله) في تفسيره للآيات من سورة الصافات أنَّ المقرر في الأصول أنَّ النص من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) إذا احتمل التأسيس والتأكيد معًا، وجب حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه. ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق (الشنقيطي، د. ت، ج. 7، ص. 169).

وقد احتجوا بأنَّ الله (عز وجل) قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه، فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال: ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 99)، أنَّه دعا فقال: ↓ ❻◆❸ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 100)، فقال (تعالى): ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 101)؛ لأنَّه (تعالى) قال: ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 107)، فذكر أنَّ الفداء في الغلام الحليم الذي بُشِّر به إبراهيم وإنَّما بُشِّر بإسحاق؛ لأنَّه قال: ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ ... (القرآن الكريم، الصافات: 112)، وقال هنا: ↓ ... ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 101)، وذلك قبل أن يتزوج هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنَّه بُشِّر بولد إلا إسحاق (القرطبي، د. ت، ج. 8، ص. 5545).

12- يرى البعض أنَّ دعاء إبراهيم (عليه السلام): ↓ ❻◆❼ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 100)، إنَّما كان حين لم يكن له ولد، وإلَّا لقيل له: قد وهبنا لك من الصالحين، فهنا ذكر الله (تعالى) الإجابة في عقب الدعاء، ووصلهما بالفاء، فقال: ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 101)، فدلَّ على أنَّ ذلك ذكر الولد الذي أعطاه الله إجابةً لدعائه حين لم يكن له ولد. فلا بد من أن يكون هذا الغلام الحليم أوَّل مولود لإبراهيم (عليه السلام)، وصرح بكونه ذبيحًا؛ إذن هو إسماعيل (عليه السلام).

13- يقول القرطبي في تفسيره لقوله الله تعالى: ↓ ❐◆❶ ❼✕✓ ❼■❽❼ ❻◆❼ ↑

(القرآن الكريم، ص: 45)، "قرأ ابن عباس "عَبْدَنَا" بإسناد صحيح، ورواه ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عنه، وهي قراءة مجاهد، وحميد وابن محيصن وابن كثير، فعلى هذه القراءة يكون "إِبْرَاهِيم" بدلاً من "عَبْدَنَا، و"إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" عطف. والقراءة بالجمع أبين، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، ويكون "إِبْرَاهِيم" وما بعده على البدل. (الخطيب، 2002، ج. 8، ص. 107). وشرح هذا من العربية أنَّك إذا قلت: رأيت أصحابنا زيدًا وعمرًا وخالدًا، فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الأصحاب، وإذا قلت: رأيت صاحبنا زيدًا وعمرًا وخالدًا، فزيد وحده بدل وهو صاحبنا، وزيد وعمرو عطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة إلا بدليل غير هذا، غير أنَّه قد عُلم أنَّ قوله: "إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ" داخل في العبودية. وقد استدل بهذه الآية من قال: إنَّ الذبيح إسحاق لا إسماعيل" (القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5661).

14- فرَّق الله (تعالى) بين الذبيح وإسحاق بذكرهما ذكرًا مستقلًّا، فبعد ما ذكر المبشَّر به الذي صار ذبيحًا، والمبشَّر به الذي هو إسحاق (عليه السلام)، ذكر من أحوالهما بقوله: [الصافات/ 113]، فجعلهما اثنين مرتين، وإذ ثبت أنَّ المبشَّر به أولاً غير المبشَّر به ثانيًا، فالذبيح هو الأول، وإسحاق هو الثاني، ثبت أنَّ الذبيح إسماعيل (الفراهيدي، 1999، ص. 87).

15- من الأحاديث النبوية والروايات الإسلامية:

- روى ابن كثير بسنده عن عبد الله بن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين أنَّه إسماعيل (عليه السلام) [أي الذبيح]، وقد صححه ابن كثير. (ابن كثير، 2003، ج. 1، ص. 150)، وينظر أيضًا: (الزمخشري، د. ت، ج. 3، ص. 350).

- روى الطبري: "حدَّثني يونس بن عبد الأعلى، قال حدَّثنا ابن وهب، قال أخبرني عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفديَّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود" (الطبري، 1979، ج. 1، ص. 268؛ الطبري، 1408هـ، ج. 23، ص. 84).

- روى الطبري: "حدَّثنا ابن حميد، قال حدَّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إنَّ الذي أمَرَ الله عزَّ وجلَّ إبراهيم (عليه السلام) بذبحه من ابنيه إسماعيلُ. وإنَّا لنجد ذلك في كتاب الله (عز وجل)

في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه أنَّه إسماعيل، وذلك أنَّ الله (عز وجل) يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: ↓ ❐◆□□❍⓵♦☼⇗❸⊙⌑□□◆❐ ←❍⓵♦☼⇗❸⊙⌑□□◆❐ ♦🖃⓵🖂⬧⇔ෂ🖂🖃 ☼♦⑩🖃▭♦☼ ↑ [الصافات/ 122]، ويقول: ↓ ⌘Ⅱ🖄✍ ✂◆⓺◆❐ Ⅱ🖄✍◆❐ ♦🖃⓵🖂⬧⇔ෂ🖂🖃 ✂🖂⅋⓵♦☼⇗❷⊙⌖♦⌛⬧▫... 🖄↗✎✂◆⓺◆❐ Ⅱ🖄✍◆❐ ♦🖃⓵🖂⬧⇔ෂ🖂🖃 ❶🖃⓵🖂⬧⇔ෂ🖂🖃 ♦ ③ ➔♦⇗❶←❑☮⌘ ↑ [هود/ 71]، يقول: بابنٍ وابنِ ابنِ، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الله من الموعود ما وَعَده. وما الذي أمر بذبحه إلاَّ إسماعيل" (الطبري، 1979، ج. 1، ص. 269–270؛ الطبري، 1408هـ، ج. 23، ص. 84).

– ما رواه الحاكم أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) طالبًا العطاء، فقال فيما قال: "فعد عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه" (الزمخشري، د.ت، ج. 3، ص. 350). يعني جده الأعلى إسماعيل وأباه عبد الله. وأما حديث "أنا ابن الذبيحين"، فقد ذكره الحاكم، وقال الزيلعي وابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف لم نجده بهذا اللفظ، وأما حديث الأعرابي فهو حديث حسن بل صححه الحاكم والذهبي لوروده من عدة طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن حجر: وحديث أنا ابن الذبيحين رويناه من حديث معاوية ونقله عبد الله بن أحمد عن أبيه وابن أبي حاتم عن أبيه، وأطنب ابن القيم في الاستدلال لتقويته (الرازي، 1405هـ، ج. 26، ص. 153–155).

– ما رواه الإمام أحمد والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنه) أنه قال: "الذبيح إسماعيل".

– روى الطبري: "حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة، قال حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُريدة بن سفيان بن فَروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القُرَظي، أنه حدثَّهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز، وهو خليفة، إذ كان معه بالشام، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلتَ. ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام، كان يهوديًّا، فأسلم، فحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود. فسأله عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيُّ ابنَي إبراهيم (عليه السلام) أُمِرَ بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين. وإنَّ اليهود لتعلم بذلك، ولكنَّهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه يصبره على ما أمر به. فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنَّه إسحاق، لأنَّ إسحاق أبوهم" (الطبري، 1979، ج. 1، ص. 270).

5– دلائل العلماء والمفسرين على أن الذبيح في القرآن الكريم إسحاق (عليه السلام):

ذهب جمع من الصحابة والتابعين منهم عمر وعلي والعباس وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وابن مسعود وكعب الأحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة وآخرون (رضي الله عنهم) إلى أنَّ الذبيح إسحاق (عليه السلام)، وقد رجح هذا القول ابن جرير الطبري (الطبري، 1979، ج. 1، ص. 264–270؛ الطبري، 1408هـ، ج. 23، ص. 81–85؛ القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5543–5544)، وهو قول اليهود والنصارى. وقد استدلوا بأدلة من أهمها:

1- أنَّ سياق الآيات، من الآية (99) إلي (111) في سورة الصافات، يقتضي ذلك، ففي قوله (تعالى) حكاية عن إبراهيم (عليه السلام): ↓ ❒◆⬧✌⬧⬧ ➊⧫ ➐❑❒❄❑➂ ⬉◼⧫⬉◼ ➐◼▤◼ ➏◆ ➐❑◼◆ ➌◆◼ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 99) اتفاق المفسرين على أنَّ المراد ذهابه إلى الشام، ثم قوله (تعالى): ↓ ⬧⬧◆ ❷⊙◆⬧❍ ◼⬄⇔❑ ◼⬧ ↑ [الصافات/101]، فوجب أن يكون هذا الغلام إسحاق لا غير، ثم قال بعده: ↓ ⬧⬧◆ ⬧◼◆◼ ◆➔◻❍⬅ ⬧❍❍⬉⬧⌘ ...↑ [الصافات/102]، وذلك يقتضي أن يكون الذي بلغ معه السعي هو الذي ولد في الشام وهو إسحاق (عليه السلام)؛ فهو الذبيح إذن.

2- يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ↓ ❒◆⬧❍◻⬧◻ ⑥⬧♑◆▭❑⑩① ◆⬧⑩◻ ❒◆③⬉➔◻ ⬧◻ ⚙⬧◆⬧◻ ➔⬧❍◆⬅ ⬧◆③◼ ➎ ⬧◆⬧◆⬧ ◻⬧◻ ⬧◻ ⬧◼◆⬧ ◆◼➐ ◆◻⬧◻ ❑◆⬧ ◻⬧ ◆◻⬧◻ ◆◼➐ ◆⬧◼◆⬧⬧ ❑◆⬧ ❒◆⇧⬧◻⬧◆ ❑◻ ◆⬧⬧⬧ ◆➏⬧ ⬧◻ ⬋◆⬧⬧ ⬧◻ ↑ [يوسف/6]:

"يقول تعالى مُخبرًا عن قول يعقوب لولده يوسف: إنَّه كما اختارك ربك وأراك هذه الكواكب مع الشمس والقمر ساجدة لك، و↓ ❒◆⬧❍◻⬧◻ ⑥⬧♑◆▭❑⑩① ◆⬧⑩◻ ... ↑ أي يختارك ويصطفيك لنبوته ويعلمك من تأويل الأحاديث. قال مجاهد: وغير واحد يعني تعبير الرؤيا. ↓ ...❒◆③⬉➔◻ ⬧◻ ⚙⬧◆⬧◻ ➔⬧❍◆⬅... ↑ أي بإرسالك والإيحاء إليك. ولهذا قال: ↓... ◆⬧◻ ⬧◼◆⬧⬧ ❑◆⬧ ◆◼➐ ◆◻⬧◻ ◆⬧⬧⬧ ⬧◻ ...◆⬧⬧◆➋⬧... ↑ ولده، وهو الذبيح في قول وليس بالرجيح. ↓... ❒◆⇧⬧◻⬧◆ ...↑، وهو الخليل ↓... ❑◻ ◆➏⬧ ⬧◻ ⬋◆⬧⬧ ⬧◻ ↑ أي هو أعلم حيث يجعل رسالته كما قال في الآية الأخرى" (ابن كثير، 1407هـ، سورة يوسف، الآية 6).

3- يقول الطبري: "وأمَّا الدلالة من القرآن التي قلنا إنَّها على أنَّ ذلك إسحاق أصح، فقوله تعالى مخبرًا عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجرًا إلى ربه إلى الشام مع زوجته سارة. وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أمُّ إسماعيل، ثم أتبع ذلك ربنا (عز وجل) الخبر عن إجابته دعاءه وتبشره إياه بغلام حليم ثم عن رؤيا إبراهيم أنَّه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعي. ولا يعلم في كتاب الله (عز وجل) تبشيرٌ لإبراهيم بولد ذكر إلا إسحاق، وذلك قوله تعالى: ⇳💣♦📱🖒♦♦🖋♦▫ ➴◘🖂☺🖋✶🖉🖋♦🔔 ⓵🡐❍🡒✍❐🕮⌘❺🡕🖑🖋✂◆❐ ↓ 🖎↗🖉✂◆❻◆❐ Ⅱ🖎✍◆❐ ♦📠🕔🖂♦⇔🗟🖎✉🖎📠 🖋🖂♈🕔♦☼🡕❷⊙⌖♦⌛♦▫ ♦📠🕔🖂♦⇔🗟🖎❍ ⌘☮❑→◑🡔➔♦③ ↑ [هود/ 71]، وقوله: ↓ ▫🖂♉🡔❐❐🕯♦▫ “▪

☎ ⇳✂🖂②♦✍ •• ☎✂❑↗☜🖋♦🔔 ☎ ☪◘☒▦❶🖒⌘ 🡕☠↙🖒🡔❁🖎✍ 🖎💣■🖬♦🖮🖃❐🕯♦▫ 🖒🡅🖎🖋 🗄⑩🖎🖬♦↘ ✍☠🕔■🖬↗⇔🖎📠 ←■❐↖❷⊙⌖□🗀◆❐ 🖋🖂♈🖂♈⇳♉◆❐ ⇳💣➹📱❁🕔♦▫ ▭□▪❸❁🕔 ❼🖎× ⓵🡐❍🡒✍❐🕮♦❷↘✍🖋✂ ❐◆🔔❁♦ ⇳💣♦☜🖋♦🔔◆❐ ❾☒⇳ ➘☜❑→♈☒❾ ⇳💣♦☜🖋♦🔔◆❐ ↑ [الذاريات/ 28- 29]. ثم ذلك كذلك في كل موضع ذُكر فيه تبشير إبراهيم بغلام، فإنما ذُكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة، فالواجب أن يكون ذلك في قوله: ↓ ▫♦⌖♦⊙❷🡕⌛♦☼🡕❷⊙⌖♦⌛♦▫ ←❍🕔♦☼🡕❷⊙⌖♦⌛♦▫ 🗄⑩🖎🖬🖂❍ ✌🗄🕔■🖬↗⇔🖎📠 ←❍🕔♦☼🡕❷⊙⌖♦⌛♦▫ [الصافات/ 101] نظيرَ ما سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة" (الطبري، 1979، ج. 1، ص. 270–271).

4- من الأحاديث النبوية والروايات الإسلامية: (السيوطي، 1414هـ، سورة الصافات، الآية 102):

- أخرج الطبراني عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "لما أراد ابراهيم (عليه السلام) أن يذبح إسحاق، قال لأبيه: إذا ذبحتني فاعتزل لا أضطرب، فينتضح عليك دمي فشده، فلمَّا أخذ الشفرة وأراد أن يذبحه، نودي من خلفه: ↓ ❐◆🔔❁♦ ⇳💣♦☜🖋♦🔔◆❐ ←❍🕔□✲🖋③🖂⑨🕔♦☼◆❐ ❶🗄⑩🖎🕰🕔♦❷🡕✍🖎✉❋🕔♦③ 🖍❐🕮 ←❍🕔□✲🖋③🖂⑨🕔♦☼◆❐ ↓ 🖂🖮🖎☜🕔☒❶☒✍ 🖋❋☼🖎❍ 🗐 🖉🖋♦③🡕↗❾❷☜🖋✂ ❁💣➹🔔❶⑨❁🕒 ⇳⑨♦🔔 ✂❁☼🖎❍ 🗐 🖉🖋♦③🡕↗❾❷☜🖋✂ ❁💣➹🔔❶⑨❁🕒 ⇳⑨♦🔔 ✞♦♈➹❽🇬🇧❽ ✂☜🖋♦←☺➹☜🖋✂ ♦×✓🖎☪🡔○⇔♦←☺➹☜🖋✂ ❽🇬🇧❽➹♈♦✞ 🖂🖮🖎☜🕔☒❶☒✍ ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 104 و105).

- أخرج أحمد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إنَّ جبريل ذهب بإبراهيم إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، فساخ، فلما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق، قال لأبيه: يا أبت! أوثقني لا أضطرب، فينتضح عليك من دمي إذا ذبحتني، فشده فلما أخذ الشفرة، فأراد أن يذبحه، نودي من خلفه ↓ ❐◆🔔❁♦ ⇳💣♦☜🖋♦🔔◆❐ ←❍🕔□✲🖋③🖂⑨🕔♦☼◆❐ ❶🗄⑩🖎🕰🕔♦❷🡕✍🖎✉❋🕔♦③ 🖍❐🕮 ←❍🕔□✲🖋③🖂⑨🕔♦☼◆❐ ↓ 🖂🖮🖎☜🕔☒❶☒✍ 🖋❋☼🖎❍ 🗐 🖉🖋♦③🡕↗❾❷☜🖋✂ ❁💣➹🔔❶⑨❁🕒 ⇳⑨♦🔔 ✞♦♈➹❽🇬🇧❽ ✂☜🖋♦←☺➹☜🖋✂ ❽🇬🇧❽➹♈♦✞ 🖂🖮🖎☜🕔☒❶☒✍ ↑ (القرآن الكريم، الصافات:

104 و105) (أحمد بن حنبل، 1995، ج. 4، ص. 284؛ الألباني، 1992، ص. 337؛ القرآن الكريم، الصافات: 104–105).

– أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن كعب (رضي الله عنه) أنَّه قال لأبي هريرة: "ألا أخبرك عن إسحاق؟ قال: بلى. قال: رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذه آل ابراهيم لا أفتن أحدًا منهم أبدًا، فتمثل الشيطان رجلاً يعرفونه، فأقبل حتى خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة، فقال: أين أصبح إبراهيم غاديًا بإسحاق؟ قالت: لبعض حاجته. قال: لا والله. قالت: فلم غدا؟ قال: ليذبحه. قالت: لم يكن ليذبح ابنه! قال: بلى والله. قالت سارة: فلم يذبحه؟ قال: زعم أنَّ ربه أمره بذلك. قالت: قد أحسن أن يطيع ربه إن كان أمره بذلك، فخرج الشيطان، فأدرك إسحاق وهو يمشي على إثر أبيه قال: أين أصبح أبوك غاديًا؟ قال: لبعض حاجته. قال: لا والله بل غدا بك ليذبحك. قال: ما كان أبي ليذبحني. قال: بلى. قال: لم؟ قال: زعم أنَّ الله أمره بذلك. قال إسحاق: فوالله لئن أمره ليطيعنه. فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم، فقال: أين أصبحت غاديًا بابنك؟ قال: لبعض حاجتي. قال: لا والله ما غدوت به إلا لتذبحه. قال: ولم أذبحه؟ قال: زعمت أن الله أمرك بذلك، فقال: والله لئن كان الله أمرني لأفعلن. قال: فتركه ويئس أن يطاع، فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه، وسلم إسحاق عافاه الله، وفداه بذبح عظيم.، فقال: قم أي بني فإنَّ الله قد عافاك، فأوحى الله إلى إسحاق: إنِّي قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها. قال: فإنِّي أدعوك أن تستجيب لي. أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئًا، فأدخله الجنة".

– أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن علي (رضي الله عنه) قال: "الذبيح إسحاق".

– أخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: "الذبيح إسحاق".

– أخرج عبد بن حميد والبخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه عن العباس بن عبد المطلب قال: "الذبيح إسحاق".

– أخرج الفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: "الذبيح إسحاق" (الألباني، 1990، ص. 3059، ح. 8665).

-"الذبيح إسحاق". ورد الحديث في رسالة لطيفة لمحمد بن عبد الهادي بغير إسناد يُحتج به (ابن عبد الهادي، د.ت، ص. 22)، كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد قائلاً: "فيه مبارك بن فضالة وقد ضعفه الجمهور" (الهيثمي، 1412هـ، ج. 8، ص. 205).

- أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن سعيد بن جبير (رضي الله عنه) قال: "لما رأى إبراهيم (عليه السلام) في المنام ذبح إسحاق، سار به من منزله إلى المنحر بمنى مسيرة شهر في غداة واحدة، فلما صرف عنه الذبح، وأمر بذبح الكبش، ذبحه ثم راح به، وراحا إلى منزله في عشية واحدة مسيرة شهر طويت له الأودية والجبال".

- أخرج الحاكم بسند فيه الواقدي عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: "رأى إبراهيم (عليه السلام) في المنام أنَّ يذبح إسحاق".

- أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن مسروق (رضي الله عنه) قال: "الذبيح إسحاق".

- أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد (رضي الله عنه) قال: "لمَّا أراد إبراهيم أن يذبح ابنه قال: يا أبتاه خذ بناصيتي، واجلس بين كتفي حتى لا أؤذيك إذا مسني حر السكين، ففعل، فانقلبت السكين قال: مالك يا أبتاه؟ قال: انقلبت السكين. قال: فاطعن بها طعنًا. قال: فتثنت. قال: مالك يا أبتاه؟ قال: تثنت، فعرف الصدق، ففداه الله بذبح عظيم، وهو إسحاق".

- أخرج عبد بن حميد عن عثمان بن حاضر قال: "لما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسحاق ترك أمَّه سارة في مسجد الخيف، وذهب بإسحاق معه، فلما بلغ حيث أراد أن يذبحه قال إبراهيم لمن كان معه: استأخروا مني، وأخذ بيد ابنه إسحاق، فعزله فقال: ﴿... ﴾ (القرآن الكريم، الصافات: 102). قال له إسحاق: يا أبت ربي أمرك؟ قال إبراهيم: نعم يا إسحاق. قال إسحاق: ﴿... ﴾ (القرآن الكريم، الصافات: 102) لأمر الله ﴿ ﴾(القرآن الكريم، الصافات: 103). قال إسحاق لأبيه: يا أبت أوثقتني لأطيش بك. نودي ﴿...

﴿ (القرآن الكريم، الصافات: 104-105)، وهبط عليه الكبش من ثبير، وقد قيل: إنَّه ارتعى في الجنة أربعين سنة، فلما كشف عن إسحاق دعا ربه، ورغب إليه، وحمده، وأوحى إليه: أن ادع فإن دعاءك مستجاب، فقال: اللهم من خرج من الدنيا لا يشرك بك شيئا فأدخله الجنة. قال ابن خاضر: إنَّ إبراهيم كان قال لربه: يا رب أي ولدي أذبح؟ فأوحى الرب إليه: أحبهما إليك".

– أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "الصخرة التي بمنى بأصل ثبير، هي التي ذبح عليها إبراهيم (عليه السلام) فدى ابنه إسحاق، هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، له ثغاء، وهو الكبش الذي قربه ابن آدم، فتقبل منه، وكان مخزونا في الجنة حتى فدي به إسحاق".

– روى عن ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد ابن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنَّه قال: "الذبيح إسحاق" (القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5543).

– أخرج الطبراني من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له سل تعط قال: أما والله لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان: اللهم من مات لا يشرك بالله شيئًا قد أحسن فاغفر له".

– يروي القرطبي متبنيًا هذا الرأي: "وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود أن رجلاً قال له: يابن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله (صلى الله عليه وسلم)" (القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5543).

– روى حماد بن زيد يرفعه إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إنَّ الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (صلى الله عليه وسلم)" (القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5543–5544).

– "قال سعيد بن جبير: أُرِيَ إبراهيم ذبح إسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتَّى أتى به المنحر من مِنًى، فلمَّا صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه، وسار به مسيرة شهر في رَوْحه واحدة طويت له الأودية والجبال" (القرطبي، د.ت، ج. 8، ص. 5544). كما روى ابن الجوزي في زاد المسير عن أصحاب هذا الرأي قوله: "قاله عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب – في رواية –– والعباس بن عبد المطلب، وابن مسعود، وأبو موسى الأشعري – في رواية – وأبو هريرة – في رواية – وأنس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، ومسروق، وعبيد بن عمير،

والقاسم بن أبي بزة، ومقاتل بن سليمان، واختاره ابن جرير – والقرطبي وانتصر له بدون تحرير. وهؤلاء يقولون: كانت هذه القصة بالشام، وقيل: طويت له الأرض حتى حمله إلى المنحر بمنى في ساعة" (ابن الجوزي، د.ت، ج. 7، ص. 72).

وقد أجاب أصحاب الرأي الأول على أدلة من قال إنَّه إسحاق، فقالوا:

أما بالنسبة للحديث الذي رواه الإمام أحمد فقد قال فيه الهيثمي فيه عطاء بن السائب وقد اختلط. وقد علَّق الشيخ أحمد محمد شاكر على هذا الحديث فقال إسناده صحيح إلا إنَّ قوله فيه (فلما أراد أن يذبح ابنه إسحاق) نراه خطأ من عطاء بن السائب فالذبيح إسماعيل كما دلَّ عليه الكتاب والسنة. وأمَّا رواية الطبري فضعيفة، قال ابن كثير في إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث. أمَّا بالنسبة لرواية الطبراني ففيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف فلا يحتج بمروياته.

أما بالنسبة لسياق الآية، فالاستنتاج منه أنَّ الذبيح إسحاق غير سديد لأنَّ عود الضمير على الغلام الذبيح، ثم ذكر اسم إسحاق صريحًا يقتضي التغاير بين إسحاق والذبيح. قال ابن القيم رحمه الله: "وأما القول إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهًا" (ابن القيم، 1411هـ، ج. 1، ص. 69).

كما أجاب أصحاب الرأي الثاني على أدلة من قال إنَّه إسماعيل، فقالوا:

قال الله (تعالى): ﴿ ↓ ❐◆□🗀□¤⊙❸⬀☼♦🕓❍⬅ ☼♦⑩🖴♦ ♦🖃🕓🖂♦⇔🗟🖂🖃 ↑ (القرآن الكريم، الصافات: 112). "أي مقضيًّا بنبوته مقدرًا كونه من الصالحين، ومن فسر الغلام بإسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته (عليه السلام)" (أبو السعود، 1415هـ، ج. 7، ص. 202).

كما قال البعض منهم أنَّ إبراهيم (عليه السلام) أُمر بذبح (إسحاق) عليه السلام بعد ما صار نبيًّا، وأنَّ المراد بالسعي هو السعي في الأعمال، وأنَّ خطاب "يا بني" لمحض المحبة. كما قالوا بأنَّ البشارة بنبوته هي بشارة أخرى وجاءت بعد تقديمه قربانًا (الفراهيدي، 1999م، ص. 84).

المبحث الثاني:

قصة الذبيح في التوراة وآراء العلماء والمفسرين:

"لم تذكر التوراة شيئًا عن دعوة إبراهيم (عليه السلام) قومه للإيمان بالله الواحد ولا قصة تحطيمه للأصنام، ورميه في النار، وخروجه منها سالمًا" (توفيق، د.ت، ص. 19)، ثم تقول التوراة: "وعمت تلك البلاد مجاعة، فانحدر إبرام إلى مصر، ليتغرب فيها" (الكتاب المقدس، د.ت، *سفر التكوين* 20–12:10؛ توفيق، د.ت، ص. 20)، ثم كان زواجه من هاجر جارية زوجته سارة، التي زوجتها له لما رأت نفسها عاقرًا وقامت بإذلالها حتى هربت منها. ويرى د. محمد صالح أنَّ التفضيل لسارة وابنها إسحاق على هاجر وابنها إسماعيل – الذي ينتمي إليه العرب – قد ترتب عليه تمييز نسل إسحاق وذريته بأنهم "شعب الله المختار"، ولعل ذلك كان سببًا في اعتقاد اليهود أن الذبيح هو إسحاق (توفيق، د.ت، ص. 22).

1– مولد إسماعيل (عليه السلام) في التوراة:

تقول التوراة: "ورأت سارة أنَّ ابن هاجر المصرية الذي أنجبته لإبراهيم يسخر من ابنها إسحاق؛ فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها فإنَّ ابن الجارية لن يرث مع ابني إسحاق" (الكتاب المقدس، د.ت، *سفر التكوين* 9: 21–21)، ثم تنصُّ التوراة على أنَّ إبراهيم أخذ ابنه إسماعيل وزوجته هاجر إلى البرية، كما تزعم أنَّ الله انحاز لسارة، وجعل العهد والبركة كلها لابنها إسحاق (توفيق، د.ت، ص. 29–30).

أما عن تاريخ ميلاد إسماعيل (عليه السلام)، فقد حددته التوراة كما حددت في مولد إسحاق (عليه السلام) بذكر عمر إبراهيم (عليه السلام) حينما ولد: "وكان إبراهيم ابن ست وثمانين سنة لمَّا ولد له إسحاق ابنه" (الكتاب المقدس، د.ت، *سفر التكوين* 21: 5).

2– مولد إسحاق (عليه السلام) في التوراة:

تحكي التوراة أنه: "كان إبراهيم قد بلغ المائة من عمره عندما ولد له إسحاق" (الكتاب المقدس، د.ت، *سفر التكوين* 21: 2–8). يقول د. محمد صالح: "ما زالت نصوص سفر التكوين تميز نسل إسحاق، وجعله – قبل أن يولد– صاحب النسبة الأصيلة إلى إبراهيم" (توفيق، د.ت، ص. 26).

3– قصة الذبيح في التوراة:

جاءت التوراة على خلاف القرآن الكريم، تصرّح باسم الذبيح وتجعله إسحاق (عليه السلام)، حيث بدأ الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين بالحديث عن امتحان الله إبراهيم: "وبعد هذا امتحن الله إبراهيم فناداه: يا إبراهيم

فأجابه: لبيك، فقال له: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق، انطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه، فاستيقظ إبراهيم في الصباح التالي وأسرج حماره، وأخذ اثنين من غلمانه، وابنه إسحاق، وجهز حطبًا لمحرقة، وانطلق ماضيًا إلى الموضع الذي قال له الله عنه. وفي اليوم الثالث تطلع إبراهيم فشاهد المكان من بعيد، فقال إبراهيم لغلاميه: امكثا هنا مع الحمار، ريثما أصعد أنا والصبي إلى هناك لنعبد الله ثم نعود إليكما، فحمَّل إبراهيم إسحاق حطب المحرقة وأخذ هو بيده النار والسكين، وذهب كلاهما معًا. وقال إسحاق لإبراهيم أبيه: يا أبي، فأجابه: نعم يا بني، فسأله: ها هي النار والحطب، ولكن أين خروف المحرقة؟ فرد عليه إبراهيم: إنَّ الله يدبر لنفسه الخروف للمحرقة يا بني وتابعا مسيرتهما معًا ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه شد إبراهيم مذبحًا هناك، ونضد الحطب، ثم أوثق إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: إبراهيم إبراهيم، فأجاب: نعم، فقال: لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرًّا لأني علمت أنَّك تخاف الله ولم تمنع وحيدك عنِّي.

وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشًا قد علق بفروع أشجار الغابة، فذهب وأحضره، وأصعده محرقة عوضًا عن ابنه، ودعا إبراهيم اسم هذا المكان (يهوه يراه)، ومعناه: الرب يدبر، ولذلك يقال حتى اليوم في جبل الرب: الإله يرى.

ونادى ملاك الرب إبراهيم من السماء مرة ثانية، وقال: ها أنا أقسم بذاتي، يقول الرب: لأنك صنعت هذا الأمر، ولم تمنع ابنك وحيدك علي لأباركنك وأكثرن ذريتك فتكون كنجوم السماء وكرمل شاطئ البحر، وترث ذريتك مدن أعدائها، وبذريتك تتبارك جميع أمم الأرض، لأنَّك أطعتني، ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه وعادوا جميعًا إلى بئر سبع حيث أقام إبراهيم" (الكتاب المقدس، د.ت، سفر التكوين 22: 20-10).

4- رد علماء الإسلام على ما جاء في التوراة:

قال ابن كثير: "وعندهم أنَّ الله تبارك وتعالى) أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى بكره، فأقحموا ههنا كذبًا وبهتانًا (إسحاق). ولا يجوز هذا، لأنَّه مخالف لنصِّ كتابهم. وإنَّما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم، وإسماعيل أبو العرب، فحسدوهم، فزادوا ذلك، وحرَّفوا (وحيدك) بمعنى (الذي ليس عندك غيره) فإن إسماعيل كان ذهب به وبأمِّه إلى مكة. وهو تأويل وتحريف فإنَّه لا يقال (وحيدك) إلا لمن ليس له غيره" (ابن كثير، 1407هـ، ج. 4، ص. 15-16).

وقال ابن القيم (رحمه الله): "وهذا كما في التوراة عندهم أنَّ الله (سبحانه وتعالى) قال لإبراهيم (عليه السلام): اذبح ولدك بكرك ووحيدك إسحاق فـ(إسحاق) زيادة منهم في لفظ التوراة. قلت: هي باطلة قطعًا من عشرة أوجه:

أحدها: أنَّ بكره ووحيده هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث فالجمع بين كونه مأمورًا بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.

الثاني: أنَّ الله (سبحانه وتعالى) أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لئلا تغير سارة فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظًا لقلبها ودفعًا لأذى الغيرة عنها، فكيف يأمر الله (سبحانه وتعالى) بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.

الثالث: أنَّ قصة الذبح كانت بمكة قطعًا ولهذا جعل الله (تعالى) ذبح الهدايا والقرابين بمكة تذكيرًا للأمة بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده: أن الله سبحانه بشر سارة أم إسحاق بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فبشرها بهما جميعًا فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر أبويه بولد ولده.

الخامس: أنَّ الله (سبحانه وتعالى) لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله (تعالى) وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين، فشكر الله (تعالى) له استسلامه لأمره وبذل ولده له وجعل من إثابته على ذلك: أن آتاه إسحاق فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

السادس: أنَّ إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه الولد؛ فأجاب الله دعاءه وبشره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه.

قال الله (تعالى): ﴿ (القرآن الكريم، الصافات: 99- 101)، فهذا دليل على أنَّ هذا الولد إنَّما بشر به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولدًا وهذا المبشر به هو المأمور بذبحه قطعًا بنص القرآن وأمَّا إسحاق فإنَّما بُشر به من غير دعوة منه بل على كبر السن وكون مثله لا يُولد له وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة؛ ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه. قال الله (تعالى): ﴿

(القرآن الكريم، هود: 69-72)، فتأمَّل سياق هذه البشارة وتلك تجدهما بشارتين متفاوتتين مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها والبشارة الأولي هي التي أمر بذبح من بشر فيها دون الثانية.

السابع: أنَّ إبراهيم (عليه السلام) لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة ولم يفرق بينه وبين أمه وكيف يأمره الله (تعالى) أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضرتها في بلدها ويدع ابن ضرتها.

الثامن: أنَّ الله (تعالى) لما اتخذ إبراهيم خليلًا، والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقًا بربه ليس في شعبة لغيره فلما سأله الولد وهبه إسماعيل فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده فنسخ الأمر بالذبح لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال. ومن المعلوم أنَّ هذا إنَّما يكون في أول الأولاد لا في آخرها، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله؛ فإنَّه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقره في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأملها.

التاسع: أنَّ إبراهيم (عليه السلام) إنَّما رزق إسحاق (عليه السلام) على الكبر وإسماعيل (عليه السلام) رزقه في عنفوانه وقوته والعادة أنَّ القلب أعلق بأول الأولاد وهو إليه أميل وله أحب بخلاف من يرزقه على الكبر ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة.

العاشر: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتخر بقوله: أنا ابن الذبيحين يعني أباه عبدا لله وجده إسماعيل. المقصود: أنَّ هذه اللفظة مما زادوها في التوراة" (ابن القيم، 1411هـ، ص. 113)

المبحث الثالث:

المقارنة بين قصة الذبيح في القرآن الكريم وفي التوراة:

1- أوجه الاختلاف في قصة الذبيح بين القرآن والتوراة:

لقد كان الخلاف بين أهل الملل أمرًا طبيعيًّا على مر العصور وفي الكثير مما جاءت به كل ملة، ومما اختُلف فيه تعيين الذبيح، هل هو إسماعيل أم إسحاق (عليهما السلام). وانبرى كل فريق يحشد ما تراءى له من دلائل يدعم بها رأيه

ويدحض بها خصمه، حتى أصبحنا أمام كم كبير من الدلائل النقلية والعقلية، وأصبح أمر الركون إلى أحد الفريقين أمرًا يصعب أن يخطئه الآخرون.

وقد تعددت أوجه الاختلاف بين ما جاء في القرآن وما جاء في التوراة على عدد من الأوجه، من أهمها:

– القرآن يدل على أنَّ الله (تعالى) لم يأمر إبراهيم (عليه السلام) بذبح ولده، وإنَّما رأى إبراهيم (عليه السلام) في الرؤيا أنَّه يذبح ولده، بينما جاء في التوراة أن الله (تعالى) يأمر إبراهيم (عليه السلام بذبح ولده.

– لم يأت ذكر اسم الذبيح وتحديده في القرآن الكريم، وذكر اسمه في التوراة على أنَّه إسحاق (عليه السلام).

– بذكر التوراة لعمر إبراهيم حين ولد إسحاق ثم إسماعيل (عليهم السلام) يتبين أمران: أنَّ إسماعيل كان وحيده حتى ولد إسحاق (عليهم السلام)، إذ ولد قبله بأربع عشرة سنة، وأنَّ الابن الوحيد لا بد من أن يكون المقرب لوالده حتى يولد له غيره. وهنا يجيب أهل الكتاب مبررين الموقف بأنَّ إسحاق لمَّا كان مع أبيه، وكان إسماعيل قد أُبعِد عنه، فصار إسحاق وحيدًا كأن لم يكن لإبراهيم (عليه السلام) غيره.

– لا أثر لواقعة الذبح في شريعة اليهود، إلا الترديد وحلق الرأس للنَّذير، ولكن أضحية النذر عندهم تطوع، (الكتاب المقدس، سفر العدد 6: 5–9، 18)، بينما هي الأساس في ملة المسلمين، وهم متبعون نسك إبراهيم (عليه السلام) بأضحية العيد والتلبية في الحج والسعي بين الصفا والمروة وغير ذلك، وهذا ما جعل من يقولون بأنَّ الذبيح إسماعيل (عليه السلام) يؤكدون على أن اليهود قد حرفوا التوراة ولو كان إسحاق (عليه السلام) لبقي لذلك أثر في الديانة.

2– أسباب الاختلاف وما يستفاد من قصة الذبيح:

لقد بدى للباحثة أنَّ الخلاف قد قام في الأساس من أجل التقليل من شأن الخصم مع الإعلاء من مكانة صاحب الرأي ومذهبه، والدليل على ذلك أنَّ اليهود حين قالوا إنَّ الذبيح إسحاق، بغض النظر عن تحريفهم لهذا القول، فهم إن أرادوا بذلك إعلاءً لمكانة إسحاق وتفضيلًا لنسلهم على سائر الأمم، فهل معنى زيادتهم لاسم إسحاق (عليه السلام) أن لا يكون هو الذبيح؟، ولماذا لا يكون الأمر شبيهًا لذلك عند بعض المسلمين الذين قالوا الذبيح إسماعيل وأظهروا هذه النية، إعلاء مكانته وإعلاء مكانة نسله المسلمين، ومما يشير إلى ذلك قول سعيد الضرير حين سئل عن الذبيح، فأنشد (القرطبي، د.ت، ص. 5544، ج. 8):

إنَّ الذبيح هُدِيتَ إسمعيلُ نَطَقَ الكتابُ بِذاك والتنزيلُ

شرفٌ به خصَّ الإلهُ نبيَّنَا وأتى به التفسيرُ والتأويلُ

إن كنتَ أُمَّتَه فلا تُنكِرْ لهُ شرفًا به قد خَصَّه التفضيلُ

فإن كان هذا دليل على لسان أحد الشعراء المسلمين على أنَّ القول بأنَّ الذبيح إسماعيل شرف وتفضيل خص به المسلمين وفي المقابل ينكر على اليهود أن يتشرفوا بكون الذبيح إسحاق مستندين إلى دليلهم من التوراة – وإن شك المسلمون في مصداقيته – "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق" (الكتاب المقدس، سفر التكوين، 22: 10-20)، مع الفارق بين الفريقين في كون اعتزاز اليهود بأنفسهم جزء من عقيدتهم التي تجعلهم شعب الله المختار، وما ذلك عند المسلمين.

يقول ابن كثير: "... ومستنده أنَّه إسحاق إنَّما هو إسرائيليات، وكتابهم فيه تحريف، ولا سيما ههنا قطعًا لا محيد عنه"، هل التحريف في التوراة يسري على كل ما فيها؟ بالقطع لا، ونحن لا نملك الأدلة الكافية على تحريف كل ما ورد فيها؛ ولذلك روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنَّه قال: "كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا" (البخاري، د. ت، كتاب التفسير، حديث رقم 4485)، وذلك في النصوص التي لم يتعرض لها القرآن ولا السنة النبوية. وهل التحريف بزيادة اسم إسحاق يجزم بأنَّ هذا خطأ وأن الذبيح ليس إسحاق، أم قد يصادف التحريف تصديق المراد؟.

لكن السؤال: ما الحكمة الإلهية من عدم ذكر اسم الذبيح في القرآن الكريم؟ فلو أنَّ القرآن قال صراحة إنَّ الذبيح هو إسماعيل لنفر أهل الكتاب، وبخاصة اليهود، وتمسَّكوا بما عندهم وجادلوا بالباطل، فكان ذلك حجة عليهم هذا رأي ذكر، وترى الباحثة أنَّ في ذلك حجة أيضًا للمسلمين تدلل على صدق رسالة نبيهم حين لم يحدد في القرآن اسم الذبيح في مخالفة لما كان في التوراة حتى لا يُتهم بأنَّه نقل منها أو يُتهم بعدم صدقه لنقله للتزييف وانجراره وراء ما بين أيدي أهل الكتاب، وكذلك ليعمل أهل العقل تفكيرهم في الأمر ويبحثوا ويقارنوا بين ما نزل عليهم وما لدى غيرهم من الكتاب ويتدبروا ما جاء به القرآن على لسان النبي الأمين، هذا الإعمال يفضي بهم إلى الإيمان اليقيني بدلًا من التسليم للأحداث دون تدبر.

وبالإضافة إلى ما سبق فإنَّ اسم الذبيح لم يكن المغذى من القصة إنَّما هو ابتلاء إبراهيم (عليه السلام) واختباره وصبره وتسليمه لأمر الله ثم مكافأته على ذلك، وإن ساعده ابنه في تلك الأحداث فلم يكن دوره فيها باعتباره نبيًّا وإنما طفل مطيع لوالده، فلن يضيف جديدًا أن يكون الابن إسماعيل أو إسحاق. وإنَّما جاء ذكره في التوراة لما أسلفنا من اختلاف منهج التوراة عن القرآن في السرد القصصي القائم على ذكر الأشخاص والأماكن والأحداث بالتفصيل، في حين جاء القرآن مقتضبًا في كل ذلك مركزًا على المغذى والفائدة المرجوة من القصِّ.

فما كان الله (عز وجل) يريد بنا الخلاف والانشقاق، حتى نصبح به مدعاة لتشكيك الغير في صدق كتابنا، وإنَّما هو خلاف يفتح الآفاق لتتنوع الرؤى وتتقارب على تعددها وهو ما كان من الرعيل الأول من المسلمين الذين وفقوا أمام ما غمض عليهم بالتفكُّر دون إقصاء أو تعصب، مستشعرين بلاغة الإبهام في هذا الكتاب المعجز.

وما كان القرآن الكريم مصدرًا للقصص التاريخية والأحداث الدرامية، بل إنَّ فيه من الحكم والأمثال ما يعلو بكثير على حد القصِّ، إنَّ فيه التعجب الذي تتبعه الحيرة فتتبعها التدبر ثم التيقن والتحقق، فالاطمئنان والتسليم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، من هنا كان حريًّا بالمسلمين أن يتفكروا في ما جاء به الذكر الحكيم من القصص، معتبرين ومقتدين، مستنبطين العبر والعظات النافعة، ولا يشغلهم الاختلاف في التأويل باعتباره مجالا للخلاف والمعارضة وإنَّما ما اختلف فيه هو لقصد أسمى وأجل، فهو للتنوع الذي لا يقصد لذاته، وإنما ليفتح آفاق التفكر والتدبر في كلامه المعجز. وصدق الحق إذ يقول: ﴿ (القرآن الكريم، النساء: 82).

وأخيرًا.. فإنَّ الشغل بالحكمة التي أحدثت هذا الخلاف حين لم يصرح الله (تعالى) باسم الذبيح، لهو الأمر الأهم والأجدى من أن نرجح إسماعيل أو إسحاق (عليهما السلام)، حتى لا يتسلل إلى قلوبنا الكبر والفخر على غيرنا، وإنما هما نبيان نؤمن بهما دون تفضيل وفي كون أي منهما الذبيح هو شرف لنا ﴿ صدق الله العظيم (القرآن الكريم، آل عمران: 67).

الخاتمة

قامت هذه الدراسة بتتبع ما ورد من ذكر قصة الذبيح في القرآن والكريم وفي التوراة، بغية التوصل إلى جلِّ ما أدلى به العلماء والمفسرين من آراء حول تحديد شخصه، هل هو إسماعيل، أم إسحاق (عليهما السلام)، مع دراسة أدلة كلِّ فريق دراسة وصفية تحليلية، وقد توصلت من خلال ذلك إلى مجمل النتائج الآتية:

1- أنَّ عدم ذكر اسم الذبيح في القرآن الكريم جعل المسلمين بين فريقين، يستند كل منهما إلى أدلته النقلية والعقلية في تحديد شخصه.

2- أنَّ ذكر التوراة لاسم الذبيح على إنّه سيدنا إسحاق (عليه السلام)، كان مجالًا لتشكيك المسلمين في صحة المعلومة بشكل مبدأي، وذلك لما عرف عن اليهود من اعتلائهم بجنسهم ونسلهم كما تقول التوراة.

3- لقد أدى الاختلاف في الرأي بين العلماء المسلمين إلى الخلاف في بعض الأحيان، ليس فقط على مستوى التشكيك في صحة ذكر اسمه في التوراة، ولكن أيضًا على مستوى تحديد اسمه المراد في القرآن الكريم.

4- لقد انشغل كثير من علماء المسلمين بالبحث عن الأدلة المؤيدة لرأيهم في تحديد شخص الذبيح وحشدها، دون البحث عن الحكمة الإلهية الكامنة وراء عدم ذكر الله (عز وجل) لاسم الذبيح.

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

- أحمد بن حنبل. (1995). *مسند الإمام أحمد بن حنبل* (تحقيق أحمد محمد شاكر، ج. 4). القاهرة: دار الحديث.

- الألباني، محمد ناصر الدين. (1990). *ضعيف الجامع الصغير وزيادته* (الطبعة الأولى، ج. 1، ص. 3059، الحديث رقم 8665). بيروت: المكتب الإسلامي.

- الألباني، محمد ناصر الدين. (1992). *السلسلة الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة* (ج. 1، ص. 337، الحديث رقم 9381). الرياض: مكتبة المعارف.

- الألوسي، محمود بن عبد الله. (1985). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (الطبعة الرابعة). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- البخاري، محمد بن إسماعيل. (د. ت). *صحيح البخاري*. بيروت: دار ابن كثير.

- البغوي، الحسين بن مسعود. (1412هـ) .*معالم التنزيل* .الرياض: دار طيبة.

- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (1408هـ) .*أنوار التنزيل وأسرار التأويل* .بيروت: دار الكتب العلمية.

- توفيق، محمد صالح. (د.ت). *المنهج المقارن في دراسة النصوص العبرية* .القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر.

- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. (1388هـ) .*مجموع الفتاوى* .جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (الطبعة الأولى).

- الخازن، علي بن عمر الشيحي. (1415هـ) .*لباب التأويل في معاني التنزيل* .بيروت: دار الكتب العلمية.

- الخطيب، عبد اللطيف .(2002) .*معجم القراءات* (الطبعة الأولى، ج. 8). دمشق: دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع.

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (1405هـ) .*التفسير الكبير* .بيروت: دار الفكر.

- الزمخشري، محمود بن عمر. (د.ت) .*الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل* .بيروت: دار الفكر.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1378هـ) .*الحاوي للفتاوي* .مصر: مطبعة السعادة.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1404هـ) .*تفسير الجلالين* (بالاشتراك مع جلال الدين المحلي). بيروت: دار المعرفة.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1414هـ) .*الدر المنثور في التفسير بالمأثور* .بيروت: دار الفكر.

- الشنقيطي، محمد الأمين. (د.ت) .*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* .بيروت: دار الفكر.

- الطبري، محمد بن جرير. (1979م) .*تاريخ الطبري* .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.

- الطبري، محمد بن جرير. (1408هـ) .*جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .بيروت: دار الفكر.

- ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد. (د.ت) .*رسالة لطيفة* . (د.ت).

- الفراهيدي، عبد الحميد. (1999م). *الرأي الصحيح في الذبيح* .دمشق: دار القلم.

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. (د.ت) .*الجامع لأحكام القرآن* .القاهرة: دار الريان للتراث.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1411هـ) .*إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان* .بيروت: دار المعرفة.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1411هـ) .*زاد المعاد في هدي خير العباد* (الجزء الأول، ص. 69). بيروت: دار الكتب العلمية.

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. (1411هـ). *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الكتاب المقدس (كتاب الحياة). (د.ت). ترجمة تفسيرية. القاهرة: مركز الكتاب المقدس.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1407هـ) .*تفسير القرآن العظيم* .بيروت: دار المعرفة.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2003م) .*البداية والنهاية* .تحقيق حامد أحمد الطاهر. القاهرة: دار الفجر للتراث.

- النسفي، عبد الله بن أحمد. (د.ت) .*مدارك التنزيل وحقائق التأويل* .بيروت: دار الفكر.

- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. (1412هـ) .*مجمع الزوائد ومنبع الفوائد* .بيروت: دار الكتب العلمية.